

على الخلف

قبل 3 أيام، وفي 28 نيسان من كل عام، يحتفل العالم بهدوء، بما يسمى «اليوم العالمي للسلامة والصحة في مكان العمل»، تصدر الدراسات وتُرفع التوصيات والثابت الوحيد من عام إلى عام، أرقام حاسوية تبين انخفاض مستوى السلامة، وتردّي وضع الصحة في أماكن العمل حول العالم. آلاف العمال يموتون يومياً بسبب أمراض مهنية، وجسدية، ونفسية، تفكّ بالقوى العاملة على اختلاف المهن والوظائف، الحقوق العقابية والقيم الإنسانية تنسف كل يوم لكي تبقى الأسواق التنافسية مفتوحة وحرّة

أكثر من مليونين ونصف مليون يُقتلون سنوياً الموت من العمل

صباح ايووب
عندما تنتهت شركة «فوكسكون» العملاقة لتصنيع الهواتف المحمولة إلى أن عمّالها في الصين ينتحرون بسبب ضغط العمل (18 محاولة) انتحار عام 2010... قامت بمدّ شبكها تحت شرفات غرفهم؛ تقول

هذه الحادثة الكثير عن العصر الحديث و«نظامه المشغل» وعمّا الت إليه علاقة العمال بعملهم وطريقة تعريف المجتمعات للعمل والعمل. حادثة «فوكسكون» ليست الوحيدة بل عيّنة عما يحدث ويتكرر في أماكن العمل منذ فترة طويلة. زمن العبودية لم ينته، عكس ما يُروى له «العالم الحر». الاستعداد، وفق الوقائع والأرقام، ما زال هنا، والعمال، حتى في عصر الذكاء الاصطناعي، يموتون بسبب أعمالهم وأثنا تأديتهم لها؛ أوضاع لا إنسانية ترافق مراحل الإنتاج كافة: ضغوط جسدية تسبب اضطرابات في الدورة الدموية، أمراض سرطانية، قلق مزمن واكتئاب، ظلم في الأجور، عنف وتحرش وتمييز عنصري وجندري... لا شيء في واقع العمل اليوم يدل على أن المجتمعات الحديثة حققت أي تقدم إنساني في تحصيل الحقوق وحماية العمال. كل ما انتزعته النقابات والأحزاب من مكتسبات للعمال عبر التاريخ يُنسف كل يوم.

7500 عامل يموتون يومياً بسبب العمل الذي يؤدونه، رقم مفعّج يمزّ وسط صمت نقابي وتجاهل عام، علماً أنه لا يحصي سوى الحالات المسجّلة، أي أن عدد الضحايا الفعلي هو أكبر بكثير والكارثة أضخم مما تصوّره بعض المنظمات الحقوقية والنقابات العمالية. كارثة بدأت منذ أن أرسى النظام الرأسمالي مفهوماً جديداً للعمل لا يرى فيه سوى عملية ربحية ضيقة في سوق تنافسية كبرى.

2,78

مليون وفاة حول العالم
في حوادث عمل سنوية
2,4 مليون وفاة بسبب أمراض مرتبطة بالعمل
380,500 الف وفاة في حوادث مباشرة

2/3

منه وفيات حوادث العمل في العالم
تتركز في آسيا

مباشر مع مواد سامة من دون إجراءات وقائية، ضغوط لتسليم السلع في الوقت المحدد... بيئة العمل هي نفسها في معظم مصانع البلدان الفقيرة التي تشرف عليها شركات ضخمة. يرى البعض أن المشكلة تعود في الأساس إلى أنه، منذ أواخر الثمانينيات، بدأ الاقتصاد الرأسمالي يضع معايير جديدة للتعامل لا تراعي سوى هدف مراعاة الأرباح والقوّن في السباق التنافسي. نقلت الشركات الكبرى مصانعها إلى بلدان فقيرة، أجور اليد العاملة فيها متدنية ومراقبة تطبيق قوانين العمل شبه غائبة، البيئة الأمثل لتستعرض فيها الشركات الكبرى عضلاتها غير أبهة بالأمان البشرية.

ومن المعايير الجديدة التي وضعها النظام الرأسمالي أيضاً أنه لم يعد مطلوباً من المدير المسؤول المعين أن يكون ملتماً بتفاصيل العمل ومراحل الإنتاج وكيفية التنفيذ، بل بات عليه فقط أن يطمح خطة مؤلفة من شروط وأرقام لتحقيق الربح السنوي المطلوب وزيادته. خطة المراء الجد لا تلتخط، طبعاً، أي جانب واقعي. إنساني يتعلّق بمدى قدرة العمال على تحقيق الرقم المطلوب، يذكر بعض العمال في شهاداتهم العلنية القليلة بأنه خلال فترة الذروة، أي قبيل الموعد المحدد لإنهاء كمية ضخمة من السلع (تحدّه السوق التنافسية أيضاً) يُطلب من العمال زيادة إنتاجهم بطريقة لا تسمح حتى بالنوم لأيام متواصلة!

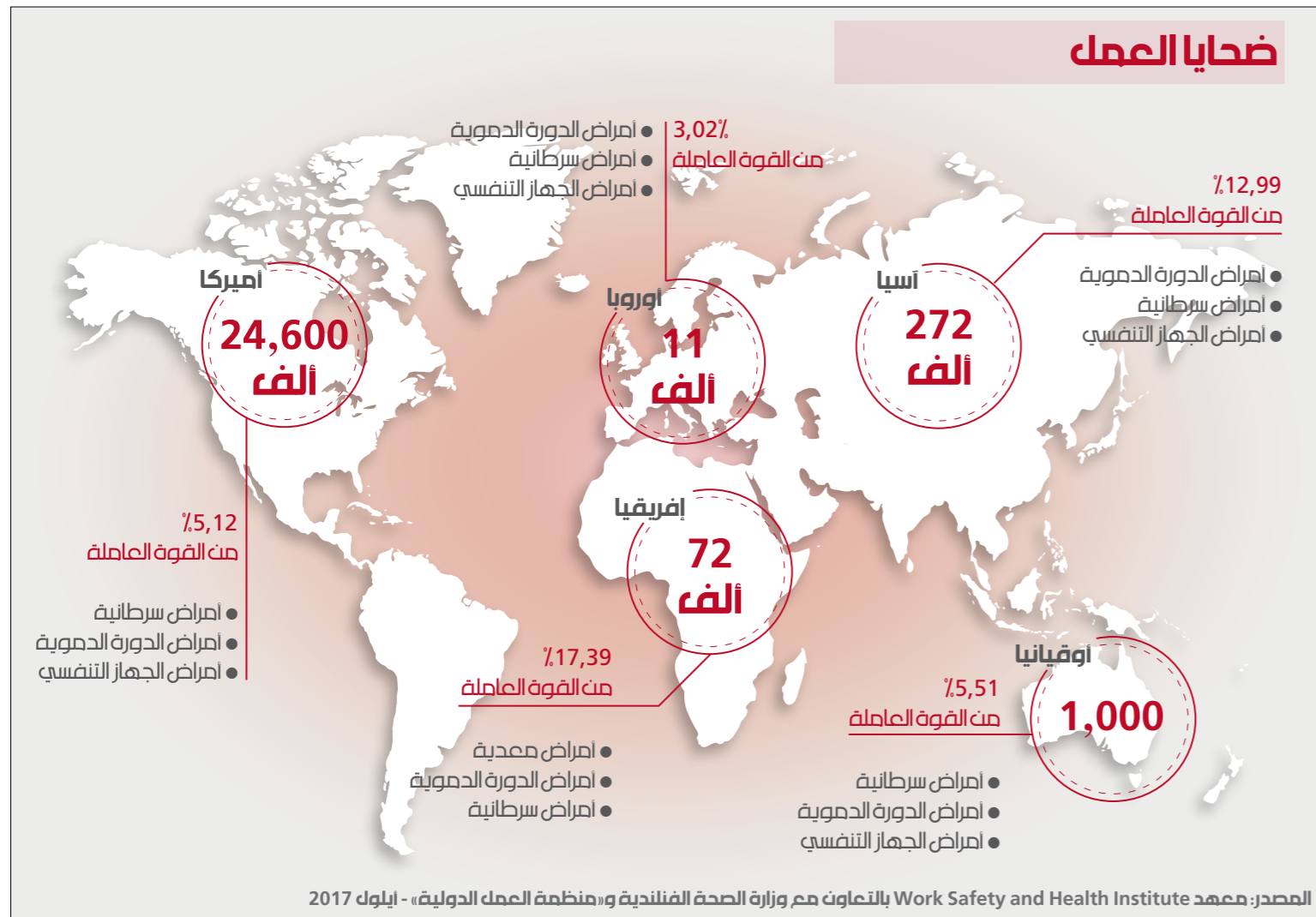
«يصبح العامل أكثر فقراً كلما أنتج ثروة أكثر، كلما زاد إنتاجه قوة واتساعاً، يصبح العامل حتى سلعة أرخص كلما زاد ما ينتجه من السلع. إن انخفاض قيمة العالم الإنساني تزداد في تناسب مباشر مع زيادة عالم الأشياء»، ترى الماركسية.

الموت لا يصيب فقط عمال المصانع في الدول النامية أو الدول الصناعية الكبرى بل يمكن أن يرى كل عامل موظف نفسه ضحية للعمل الفروض عليه وفق المعايير التي وضعتها الرأسمالية. عمال «المخاطب» أيضاً غير مستثنين من الأمراض المهنية (الجسدية والنفسية) وإهدار حقوقهم وإجبارهم على تادية أعمالهم في جو ضاغط يلاحقهم حتى إلى منازلهم بعد انتهاء الدوام وإلى «عطلمهم» في معظم الأحيان. حتى الشركات الكبرى ذات المباني النظيفة التي لا تتهدم على رؤوس عمّالها، لا تراعي شروط العمل السليمة إذ إن من يتحكّم بوتيرة العمل وظروف العمال ليس المدير ولا حتى صاحب الشركة بل حاجة مفتوحة في الأسواق لإنتاج المزيد في وقت قصير وبتكلفة أقل.

اضطرابات العمل النفسية

إلى الأمراض الجسدية القاتلة (أمراض الدورة الدموية والأمراض السرطانية، أمراض الجهاز التنفسي...) تضاف الأمراض النفسية التي تسببها ضغوط العمل المتزايدة، قلق مزمن وتوتر واكتئاب يؤدي إلى الانتحار في معظم الأحيان. لكن العالم ما زال يجهل نسبة الإصابات بتلك الأمراض ومدى تأثيرها الفعلي، لأن العمال، في أغلب الأحيان يجهلون أن سبب اضطراباتهم النفسية هو عملهم، يساعد على ذلك عدم اعتراف أصحاب العمل وشركات التأمين والضمان بكون تلك الاضطرابات النفسية «أمراضاً» في الأساس. أضف إلى ذلك عدم تقديم الموظفين شكاوى حول عملهم النفسية وتسجيلها لدى المسؤولين في مكان عملهم لأسباب كثيرة تتعلق بعدم الدراية الكافية لحالاتهم، والخوف

ضحايا العمل

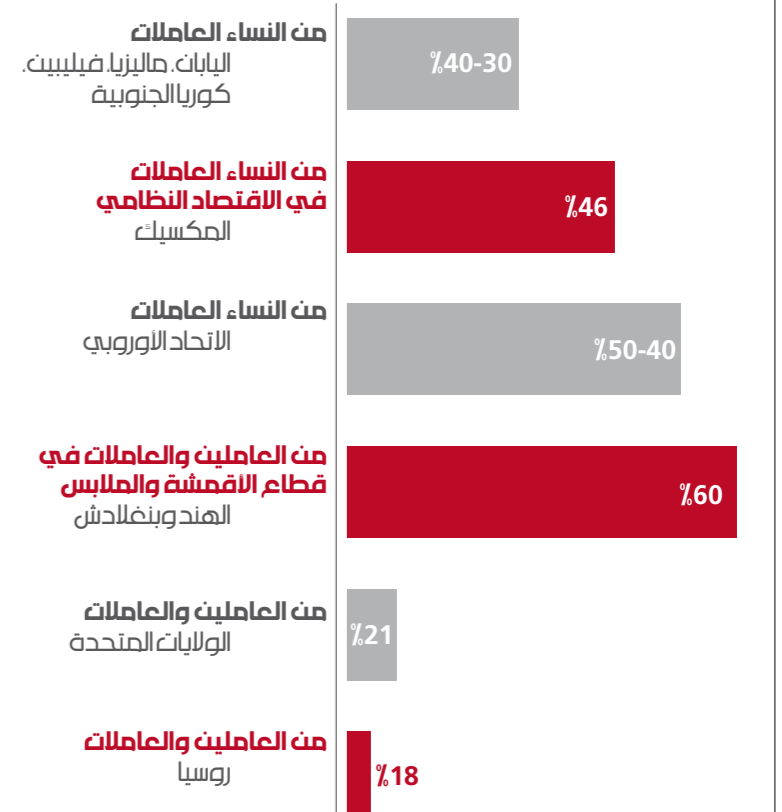


قبلة الحياة

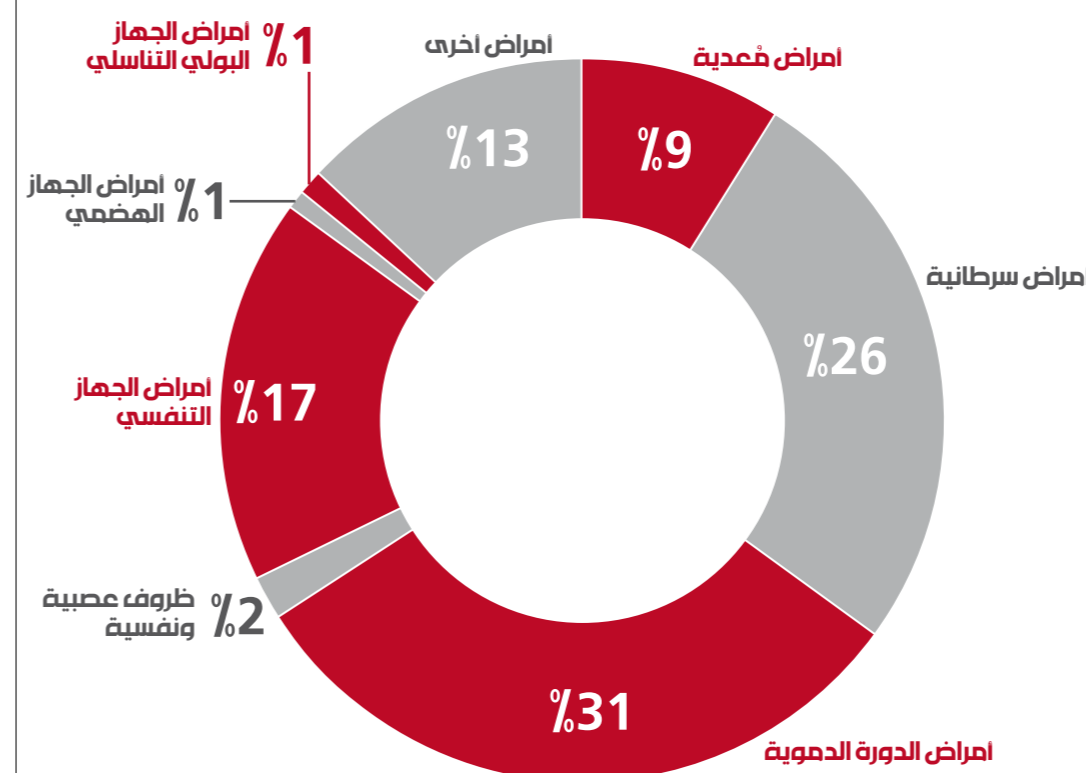


صورة Kiss Of Life (قبلة الحياة) للمصور الأميركي روكو مورايينو التي حصلت على جائزة بوليتزر في عام 1968. يظهر في الصورة العاملان راندال شامبيون وجاي دي تومسون خلال قيامهما بأعمال صيانة وتصلب عطل كهربائي، حين تعرّض شامبيون لصعقة كهربائية بقوة 4 آلاف فولت أدت إلى توقف قلبه فوراً وبقيته معلقاً في الهواء بأحزمة الأمان، وهو ما سمح لزميله تومسون بإسعافه من خلال إمداده بالتنفس الاصطناعي إلى حين عودة النض إلى شرايينه، فحمله على اكتافه وصولاً إلى الأسفل حيث مدّده على الأرض وأمدّه بالإسعافات الأولية وضربات القلب وأنقذ حياته. ومن بعدها عاش شامبيون 35 سنة إضافية.

التحرش الجنسي في مكان العمل



الوفيات بالأمراض المهنية في العالم



المصدر: معهد Work Safety and Health Institute بالتعاون مع وزارة الصحة الفنلندية ومنظمة العمل الدولية، - أيلول 2017

المصدر: منظمة العمل الدولية، 2017، مركز أبحاث إيسون الأميركية، هيرينتان بول